

حركة التأليف في عصر المماليك بطرس البستاني في عصر الضعف الم يكن النشر أوفر حظا من الشعر فيعوده الإسفاف، وكلاهما رزئ ببلاغته، ومضى عهد فرسانه الجلل، وخطبه أعم، لان عدد التطفلين عليه أكثر من عدد التطفلين على الشعر، وكانت النكبة في إنشاء الترسلين أشد منها في إنشاء الصنفين. فقد اصطبغ إنشاء المترسلين بالوان الشعر، فغلب علب الخيال والجاز وقامت سجعاته قالب الشعر ضاقت مقام القرافي، وغددت موضوعاته، فتنبر عنه، ولا تخضع له إلا على كره منها ونفار. فاسف نثر الترسلين رجنت صناعتهم، ثم وافى هذا العصر، فاحتضرت البلاغة بن يديه، وحاول كتابه أن يجاروا من تقدمهم في الصناعة من التزام التورية والسجع واجناس، فلم يستقم لهم الأمر، وجاءت عباراتهم تتمطى منشاكلة ومتثائية. وأما إنشاء الصنفين فلم تعثه الصناعة اللفظية كما عمث فن القرشل ولكنه لم يخلص من التعقيد والتطويل، ثم دب الفساد في لغتهم كما دب في لغة الترسلين، وإقبال العلماء عليها، وانصرافهم إلى التأليف باكتاف السلاطين، ولكن مصنفاتهم تلفها الاستبطاء لتصلب الأذهان، فجاءت في معظمها جمعا وعشية وشرحا، فمن الذين اشتغلوا بالنحو ابن مالك الطائي، والفيثه الشهورة والكافية الشافية، ومنهم صاحب الآجرومية. ومن الذين اشتغلوا بتصنيف المحاجم اللغوية ابن منظور صاحب اللسان العرب، ومنهم التاريخ حسناً